Journal of Total Science
Volume (8), Issue (33), (Desp. 2024)
ISSN: 2518-5799

مجلة العلوم الشاملة
المجلد (8)، العدد (33)، (ديسمبر2024)
ردمد: 2518-5799

من الوثيقة إلى النص: قراءة نقدية في آليات اشتغال المختار كرفاع على مصادر التاريخ الليبي

عفاف أحمد الباشا

قسم التاريخ –كلية الآداب الزاوية –جامعة الزاوية

.....

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى المساهمة في ترسيخ القراءة النقدية في البحث التاريخي الأكاديمي الليبي، والدفع بالدرس التاريخي الوطني نحو آفاق أرحب على صعيد الموضوعات المطروحة ومناهجها. وإن أخذت الدراسة من إنتاج المؤرخ الليبي المختار كرفاع أنموذجًا تطبيقيًا، فذلك لتوافر جملة من المعطيات في عملين مهمين ضمن المكتبة التاريخية الليبية، هما: الأرشيف الروسي ومجلة ليبيا المصورة، لما يتميز به الأول من فرادة في موضوعه، ولشمولية الثاني في مجاله. وقد انتهجت الدراسة أسلوب تحليل الخطاب في معالجة هذين العملين، بالانطلاق من زعم أساسي حول نجاح المختار كرفاع في تقديم المصدرين كنصين أدبيين، وقابلين للمساءلة كسردية لها خطابها وأدواتها. وقد ركزت الباحثة على تحليل الكيفية التي وظف بها كرفاع هذين المصدرين في إعادة بناء الذاكرة الوطنية، واستجلاء حدود الموضوعية التي تحلى بها المؤلف تجاه كل من الخطاب الروسي المستقل والخطاب الليبي الخاضع للرقابة الفاشية. وخلصت الدراسة إلى أن كرفاع قدّم معالجة صارمة ومتماسكة للمصادر الروسية، بينما اتسمت قراءته لمجلة ليبيا المصورة بنزعة تقويمية تتأرجح بين الإدانة والاستيعاب، في ضوء الاستقراء المباشر لنصوص المجلة، بأسلوب غلبت عليه العاطفة الوطنية، مع إغفال نسبي لسياقات التاريخ الاستعماري وتعقيداته. ومع ذلك، يظل هذا الإسهام محمودًا في إثراء الجدل حول إشكالية المقاومة والتواطؤ في التأريخ الليبي.

كلمـــات مفتاحيـــــــــة: مصـــادر التـــاريخ الليبـــي– الأرشـــيف الروســـي – مجلــة ليبيــا المصــورة – المختــار كرفــاع – الــذاكرة الوطنيــة – تحليــل الخطــاب – السردية الأدبية – التواطؤ والمقاومة .

Abstract

This study contributes to advancing critical reading in Libyan historical scholarship and expanding the thematic and methodological scope of national historiography. Using the works of Mukhtar Karfa' as a case study—specifically Russian Archive and Libya Al-musawwara magazine. the research applies a discourse-analytic approach to examine these texts as literary narratives with distinct discursive structures. The study analyzes how Karfa' employed these sources to reconstruct national memory and navigated the tensions between the independent Russian discourse and the censored Libyan discourse under fascist rule. Findings indicate that while Karfa' offers a rigorous and coherent treatment of Russian sources, his reading of Libya Illustrated reflects a patriotic, evaluative stance oscillating between critique and accommodation, with a relative underemphasis on colonial complexities. Despite this, his work constitutes a valuable contribution to debates on resistance and complicity in Libyan historiography

Keywords: Sources of Libyan history- Russian Archive- Libya Al-musawwara- Mukhtar Karfa- National memory- Literary Narrative- Discourse Analysis- Resistance and Complicity

مقدمـــــــــة

تهـدف هـذه الدراسـة إلـى إثـراء النقـاش حـول الكتابـة التاريخيـة الليبيـة، مـن خــلال الإنتــاج الأكــاديمي للمــؤرخ الليبــي الــدكتور المختــار كرفــاع، بــالتركيز علــى

موضوع محدد وهو حضور المصادر التاريخية في ذلك الإنتاج، ووعي المؤلف بأهميتها. وتقترح الدراسة أن ثمة مشروعا واضح الملامح في المسيرة الأكاديمية لمؤرخنا، يتجلى في انشغاله بترميم الذاكرة التاريخية الليبية عبر استدعاء مصادر جديدة، ليس لأنها لم تستخدم في البحث التاريخي من قبل، بل لأنها لم تستنطق كمصادر أدبية ونصوص قابلة للمساءلة، وكخطاب له أهدافه ولغته وترتيباته! وقد أمكن رصد هذا المشروع ضمن كتابيه (الأرشيف الروسي السوفييتي وتاريخ ليبيا الحديث)، و (مجلة ليبيا المصورة). فهو يستنطق الأرشيف الروسي والسوفييتي، ليكمل الرواية التاريخية عن ليبيا، في حقبة امتدت من منتصف القرن السابع عشر حتى منتصف القرن العشرين، ويسائل المصادر الروسية والسوفيتية عن رؤيتها ومواقفها من القضية الليبية منذ الغزو الإيطالي حتى الاستقلال. كذلك الحال وهو يقرر تصحيح الذاكرة الوطنية باستعادة صوت مجلة ليبيا المصورة من مصدر مهمش إلى مصدر رئيس في فهم حقبة الثلاثينيات من القرن العشرين.

وللتعمق في هذا الزعم المركزي عن مشروع المختار كرفاع، قسمت الدراسة إلى ثلاثة محاور

الأول: المختار كرفاع سيرة باحث: الدراسة – التدريس – التأليف

الثاني: الأرشيف الروسي والتاريخ الليبي

الثالث: مجلة ليبيا المصورة

أولا– المختار كرفاع سيرة باحث: الدراسة – التدريس – التأليف

تحصل كرفاع على الإجازة العالية (الماجستير) من جامعة قاريونس 1990 م، وعلى الإجازة الدقيقة الدكتوراة من جامعة موسكو 1998 م. التحق بسلك التدريس العالي بجامعة الزاوية منذ التسعينيات ، و أسهم في بناء وتطوير برامج الدراسات العليا في قسم التاريخ بالجامعة ذاتها، وتولى مرارا الإشراف عليها منذ عام 2000م، كما شغل عضوية في اللجنة الإدارية لمركز البحوث والدراسات العليا منذ عام2011 وحتى 2019م ، ثم رئيسا لوحدة العلوم الإنسانية بمركز البحوث والاستشارات في الجامعة خلال السنوات 2019–

في ميداني التدريس الجامعي والدراسات العليا، درس كرفاع مقررات دراسية متنوعة ، ضمن اهتماماته، منها : التاريخ الحديث والمعاصر لكل من ليبيا وأفريقيا و آسيا ، و تاريخ العلاقات الدولية، و تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، وفلسفة التاريخ

بظلاله على رؤيته للتاريخ فتبدو العوامل السياسية والثقافية الأكثر حضورا في مناقشاته ودروسه[1] !

تبدأ المسيرة الأكاديمية للمختار كرفاع بعمل جاد وملهم عن الحركة العمالية في ليبيا[2]، وهو عمل منفتح على مصادر متعددة للتاريخ من وثائق رسمية إلى وثائق أهلية إلى رواية شفوية، وهو ما استوجب عناء في الوصول إليها. ولم يكن مستوى الطرح والمعالجة في هذا العمل بأقل أهمية من مستوى المصادر المستخدمة التي أجاد الباحث استنطاقها في التأريخ لهذه الشريحة المهمشة، والدراسة بحكم موضوعها جمعت بين التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي. أسست هذه الدربة المنهجية في الحركة العمالية للمراحل التالية، حيث نجح الباحث في استنطاق الأرشيف الروسي، والتأسيس لرؤية ومكتبة ليبية عن العلاقات الليبية الروسية، وليس مستغربا أن ينصرف في مرحلة لاحقة إلى مجلة ليبيا المصورة بصبره المعهود، ليقدم للباحثين مصدرا طال تهميشه في البحث التاريخي والذاكرة الليبية.

ثانيا – كتاب الأرشيف الروسي السوفييتي وتاريخ ليبيا الحديث[3] :

جاء هذا الكتاب الصادر عن وزارة الثقافة والتنمية المعرفية بطرابلس، في مئة وسبع وتسعين صفحة، مشتملا على تسعة عناوين رئيسية ومقدمة، يتصدره تقديم للمؤرخ الليبي الدكتور عقيل البربار.

يبدو الكتاب تأريخا لمصادر الرؤية الروسية ثم السوفيتية حول ليبيا منذ القرن السابع عشر وحتى منتصف القرن العشرين. ما يمنحه وفقا للبربار قدرا من التسلسل التاريخي والمنطقي للأحداث، يتوافق والاسم الذي اختير له[4] .وهو بزعمنا، ما يجعله مستحقا للاستنطاق كنص أدبي متماسك. جاء الكتاب نتاج مراجعة ذاتية نقدية سلكها الباحث في تقويم بحوثه ودراساته السابقة حول العلاقات الليبية الروسية [5].و قد وفرت له الرحلة الطويلة مع الأرشيف الروسي السوفييتي، أن يتقن أدواته البحثية في هذا الشأن، وأن يؤسس لمقاربته الخاصة حيالها.

يرتكز الطرح الرئيس للكتاب حول القيمة المصدرية والنوعية للأرشيف الروسي في دراسة التاريخ الليبي، حيث تنفرد المصادر الروسية السوفيتية وفقا لكرفاع، برؤية مغايرة عن المصادر الغربية المسرفة في التعالي والتوظيف الأيديولوجي[6] ، كما تمثل رؤية محايدة غير منحازة للرواية الاستعمارية والإيطالية، ما يجعلها مصدرا لرواية ورؤية أخرى للتاريخ الليبي[7]. يفسر البربار هذه الرؤية الموضوعية بأن الروس لم يسعوا إلى احتلال ليبيا، وهو ما انعكس على طبيعة المادة وطرق جمعها وتناولها، فظلت بعيدة عن شبهة التزوير، والتوظيف الأيديولوجي[8]. يفسح هذا الأرشيف أيضا المجال لفهم كيف تعامل الاتحاد السوفييتي مع ليبيا وقضايا العالم العربي والشعوب المستعمرة عموما[9].وقد جسد المؤلف هذه الرؤية في مباحث الكتاب فجاءت مرتبة على النحو الآتي :

1-المحطات التاريخية للاهتمام الروسي بليبيا منذ منتصف القرن السابع عشر حتى الاستقلال

2-ليبيا في أرشيف روسيا الاتحادية 1911-1952

3-الصحافة الروسية والغزو الإيطالي لليبيا أكتوبر 1911، أكتوبر 1912

4- الحرب العثمانية الإيطالية حول طرابلس من خلال تقارير وزارة الدفاع الروسية. أكتوبر 1911، أكتوبر 1912

5-الشيوعية الدولية، الكومنرون ، أو الأممية الثالثة والقضية الليبية 1919-1939

6-الحزب الشيوعي الإيطالي ونشاطاته في ليبيا 1923-1925

-الاتحاد السوفييتي والقضية الليبية في الأمم المتحدة 1948-1951

8- المستشرقون السوفييت وكتابة التاريخ الليبي، ياخيموفيتش ،بروشين ،أنموذجا .

9- بعض المنشورات الروسية عن ليبيا ، بقلم جاكوب.م.لاندو

يعني الكتاب بجوانب مهمة من التاريخ الليبي في إطار من التداخل بين أربعة أطراف: الاتحاد السوفييتي، وليبيا، وإيطاليا، و المعسكر الغربي بحسب سياقاتها التاريخية. وقد ينظر إلى علاقة روسيا، ثم الاتحاد السوفييتي بليبيا حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية على أنها هامشية، إلا أن كرفاع يعيد وضع تلك الهامشية ضمن محطات مركزية في التاريخ الليبي.

ينتمي المختار كرفاع إلى ثلة من المؤرخين الليبيين الذين اشتغلوا على المصادر التاريخية المتعددة المحلية والأجنبية وأسهموا في بناء الذاكرة التاريخية الليبية، كل حسب رؤيته ومشروعه المنخرط في سياقات بناء الدولة الوطنية[10] . إلا أن تتبع ليبيا في الآراشيف الغربية قد يعكس من وجهة أخرى اهتمام الليبيين برؤية الآخر لتاريخهم في تقدير يتساوى لرؤيتهم لذواتهم من الداخل!

يمكن قراءة هذا الكتاب من ثلاث زوايا:

الأولى: التماهي مع عنوان الكتاب، بتتبع الحضور الليبي في الأرشيف السوفييتي زمانا وموضوعا كما رتبه مؤلفه.

الثانية: ليبيا في ضوء سياسة الاتحاد السوفييتي مع الدول المستعمرة في أفريقيا والشرق الأوسط، لا باعتبارها أنموذجا قابلا للتعميم بل بوصفها حالة وعينة من هذه السياسة في ظل الظروف التاريخية لطرفي العلاقة، وفي سياق العلاقات الدولية.

الثالثة: ليبيا باعتبارها الشاغل الرئيس للباحث، وغايته التي انصرف إليها وحدها؛ يعيد تقويم دولة كبرى كالاتحاد السوفييتي في ضوء ما قدمته لوطنه، مع الالتزام بالتحليل والتفسير والمعالجة العلمية الموضوعية.

جاء البناء العام للكتاب تبويبا وترتيبا، ليكشف عن رؤية المؤلف الواعية بالمشروع الذي يقدمه، فيما كانت معالجة المصادر – كجزء من عملية التأريخ والنقد– حاضرة في تفاصيل العمل، فهو يسائل المصادر في إطار السياسة العامة للروس ثم السوفييت تجاه ليبيا، من جانب، وفي ظل الظرفية التاريخية للقضايا المدروسة من جانب آخر، مهتديا بسؤال رئيس : هل كانت رؤية السوفييت لقضايا ليبيا متسقة مع الأهداف المعلنة لرفض الامبريالية الغربية، أم أنها وقعت في فخ التناقض بين الأهداف المعلنة والمصالح العليا للاتحاد السوفييتي [11]؟ . يكشف كرفاع في مواضع عديدة كيف أن الاتحاد السوفييتي كان معنيا بتأمين مصالحه قبل أي اعتبار للأيديولوجية المناهضة للاستعمار والشعوب المستعمرة، إذ وقع اتفاقيات أمنية واقتصادية مع ألمانيا النازية، وأخرى مع إيطاليا الفاشية لفك العزلة الدولية عنه، مستغلا التطورات الدولية في الثلاثينيات من القرن العشرين، التي

قادت إلى إعادة رسم وتشكيل التحالفات الدولية، ومن ثم إعادة موضعة نفسه في إطارها [12].

وصف كرنولوجي يخفي سردية متماسكة:

حقيقة، إن المؤلف وإن كان حذرا ولم يعد القاريء بالكثير، ربما خوفا من خذلانه، إلا أن الكتاب يقدم أكثر مما يصرح به صاحبه. فهو يعرض ليبيا في عيون الروس في حقب مختلفة، ويترجم هذه الرؤية وفقا لأولويات المصالح الروسية. يضع كل مرحلة في المنظور الروسي للقضية الليبية وفق سياقها التاريخي الجديد، دون الركون إلى مباحثه السابقة، كمقدمات ثابتة لنتائج حتمية، والتي يعي تماما أنها مرحلية وظرفية، بل يخضعها لمنطق الزمن والسياسة والتاريخ حيث لا مكان للثبات!

لنأخذ مثالا على الوظيفة التي يؤديها الوصف الكرنولوجي في سردية المؤلف حول المصادر الروسية والسوفييتية : ففي المبحث الأول من الكتاب المعنون :المحطات التاريخية للاهتمام الروسي بليبيا، يصف المؤلف عمله بقوله : (فإن هذا العمل لا يزيد عن كونه تأريخا لمراحل تلك المعرفة الروسية ثم السوفيتية بليبيا الحديثة)[13]، والحقيقة فإن التواضع الذي يبديه كرفاع تجاه منجزه البحثي، لا يحجب قيمة العمل، الذي يستعرض كما وصفه مراحل المعرفة الروسية منذ القرن السابع عشر حتى استقلال ليبيا في الخمسينيات. فهذا المبحث، يأخذنا في عرض سريع لكن دقيق على المستوى الوصفي والكرنولوجي، وفقا لما هو متاح له، مركزا على نقطتين : الأولى ليبيا في الكتابات الروسية و السوفيتية ، و الثانية ليبيا في السياسة الروسية و السوفيتية وفقا لسياقات العلاقات الدولية. ومع أن المؤلف يتجنب التحليل والتفسير في هذا العرض ، إلا أنه يوفق في بناء تصور كرنولوجي، يتحسس القاريء عبره سردية المؤلف لتاريخ الرؤية الروسية لليبيا كما ستكشفها المباحث اللاحقة. ينجح كرفاع عبر كثافة اللغة في جعل القاريء مراقبا و محللا لا مجرد متلق سلبي.

القراءة الواعية للأدبيات الروسية و السوفيتية عن ليبيا :

ينفذ كرفاع إلى المعرفة الروسية بليبيا: منطلقاتها، وسياقاتها، وتحولاتها. يناقش العلاقة بين المعرفي والسياسي في ظل وعي بطبيعة الاستشراق ومدارسه[14] ، حيث الاستشراق الروسي إحداها، وإن كانت له طبيعته الخاصة. يحيلنا إلى عناوين الرحلات والكتب الروسية حول طرابلس الغرب، و يدعونا إلى فتح مغاليق هذه المادة التي لم تنل اهتمام الباحثين رغم توافر بعضها معربا ومنشورا [15] .

في دراسته حول الصحف الروسية والغزو الإيطالي لليبيا: يلاحظ المؤلف تعدد زوايا النظر لهذا الحدث في روسيا، فقد عبر الاتجاهان الليبرالي واليهودي عن مناهضتهما للغزو، فيما تماهت الرؤية الرسمية مع الغزو في حدود المصلحة الروسية [16]. ويستنتج أن الحرب الليبية الإيطالية لم تظهر في الصحف الروسية باعتبارها حرب حق وباطل، معتد ومعتدى عليه، بل نوفشت من زاوية المصالح الروسية المحضة دون اعتبارات أخرى[17] . ويحصر كرفاع الأهمية النسبية للمصادر الروسية في فهم المشهد التاريخي للصراع الليبي الإيطالي في زاويتين : الأولى باعتبارها شاهدة على رؤية الروس للحرب الليبية الإيطالية، والثانية توثيقها لجوانب مهمة منها [18].

يضع المؤلف الأدبيات التاريخية السوفييتية عن ليبيا في إطار مدرسة تاريخية ماركسية، لها رؤاها و إسهاماتها في تفسير التاريخ الإنساني[19] ،وبالتالي فهي حين تدلو بدلوها في التاريخ الليبي؛ فإنما تضيف آفاقا واتساعا في مجال الرؤية بغض النظر عن التوافق أو الاختلاف معها. ويشكل كتابا بروشين عن التاريخ الليبي الحديث والمعاصر[20] وكتاب ياخيموفتش (الحرب الإيطالية التركية 1911–1912)[21] أنموذجا لتلك المعالجة، و قدم كرفاع قراءة يقظة في هذه الكتابات بالتركيز على الخلفيات الماركسية للمؤلفين[22] ، ففحص بعض أطروحاتهما عن التاريخ الليبي واضعا إياها في سياق الخصوصية التاريخية الليبية[23]. ينتقد الدراسات ذات التحليل الماركسي، التي أعدت قيادات المقاومة الليبية في طرابلس قيادات برجوازية، ويرى أن هذا الحكم غير صحيح لأسباب ترتبط بضعف الملكية العقارية الخاصة، وسيادة الملكية المشاعية[24] ،و يعيب على الدراسات الماركسية تقديمها للتاريخ الليبي على أنه صراع بين الإقطاع والبرجوازية، من دون الأخذ في الاعتبار خصائص
وتاريخية المجتمع الليبي[25]. وفي سياق آخر، وفي ضوء القراءة الحذرة للخطاب الشيوعي في المصادر المتعددة، يعلق كرفاع على رؤية الحراك الشيوعي السوري

الفلسطيني لدور الأعيان والبرجوازية وعلماء الدين، باعتبارهم أدوات للمستعمر، فيرد برفض الأساس المطلق لهذا الحكم، ويرى ضرورة فهمها في سياقاتها التاريخية وتنوع أدوارها[26]. لكن المؤلف وإن كان يرفض الأحكام المطلقة و الاختزالات التي يمارسها الفكر الماركسي كقراءة آلية للتاريخ، إلا أنه يرحب بإسهاماته في تجديد وتطوير البحث التاريخي[27] ،ويشيد بقراءتها المتميزة للتاريخ الليبي[28].

الأسلوب والدلالات

يتسم أسلوب كرفاع بالسلاسة، ووضوح الأهداف والأفكار. والكتاب متخم بالموضوعات الجادة، التي انتظمت لتجيب على أسئلة محددة: ما طبيعة وأهداف الاهتمام الروسي بليبيا؟ ما جذور هذا الاهتمام: هل اهتمت روسيا بليبيا في وقت مبكر من تاريخها الحديث؟ متى ظهرت أهمية ليبيا للاتحاد السوفييتي قبل الحرب العالمية الثانية أم خلالها أم بعدها؟ كيف أثرت المتغيرات الدولية على مواقف السوفييت من ليبيا؟ كيف عالجت الأدبيات السوفييتية التاريخ الليبي؟ كيف ظهرت ليبيا في الآراشيف الروسية بأنواعها المختلفة بما في ذلك الصحافة والأدبيات التاريخية؟

الكتاب نافذة تاريخية على موضوعات مهملة في الأدبيات التاريخية الليبية والعربية، وقراءة مهمة في العلاقات الليبية الروسية من وجهة نظر ليبية، وهو في ذات الوقت مهم لفهم علاقتنا بالآخر في عالم معقد من الصراعات الدولية والحروب بالوكالة كالتي تشهدها البلاد العربية منذ الحرب الباردة حتى اليوم، فالنظر الى العلاقات الدولية في سياقاتها التاريخية، ستجعل الليبيين أقدر على تحديد هوية الأطراف المؤثرة في واقعهم الراهن، وبناء سياسات أكثر وعيا في هذا السياق، فالسياسة ليست مسرحا للمشاعر والعواطف، بل إدارة للمصالح العليا للدول، و روسيا اليوم وريثة الاتحاد السوفييتي لديها مصالحها في ليبيا التي تحددها موقع الأخيرة في ساحة الصراع الدولي. تعين مثل هذه الدراسات الجادة على فهم صورتنا في عيون الآخر وأولوياته بواقعية، بدلا من تضخيم رؤيتنا لأنفسنا وموقعنا في اهتماماته، وانتظار الخلاص من الخارج !

ثالثا – كتاب مجلة لبيا المصورة[29]

موضوع هذا الكتاب هو مجلة ليبيا المصورة(1935 –1940م)، التي صدرت في بنغازي، برعاية حاكم ليبيا المستعمرة" إيتالو بالبو"[30] في إطار سياستي الإدماج والاحتواء الثقافي لليبيين في المجتمع الاستعماري، أوجدت لتحسين صورة إيطاليا الفاشية في الساحتين الليبية والإسلامية، وإظهارها كمثال استعماري فريد على مستوى التنمية و التحديث، والتعايش بين المستعمر والأهالي[31] ، وقد أسند امتياز المجلة ورئاسة تحريرها إلى عمر فخري المحيشي[32].

يأتي الكتاب في مئتين واثنتين وستين صفحة، مقسما على مقدمة وأربعة مباحث، وملحق، يتصدرهم تقديم من المؤرخ الليبي الدكتور محمد الطاهر الجراري. جاءت المباحث متماهية مع أقسام المجلة على النحو الآتي:

المبحث الأول: التعريف بالمجلة ومحتوياتها، وفيه أيضا عرض لرسالة المجلة ورؤيتها

المبحث الثاني: تحليل المقالات الافتتاحية، عالج فيها افتتاحيات المجلة التي خصصت غالبا للحديث عن الفاشية ونظامها السياسي وعلاقاتها الأوروبية، وعن بعض تشريعاتها في ليبيا.

المبحث الثالث: المقالات السياسية، وفيه عرض وتحليل للسياسة العامة للحكومة الإيطالية في ليبيا، وخطط المارشال بالبو وإنجازاته.

المبحث الرابع: مقالات متفرقة، شملت الاجتماعي و الاقتصادي والعمراني و الثقافي، وفيها عرض وتحليل لنوعين من موضوعات المجلة: أحدهما، هدفت المجلة منه إلى المحافظة على الهوية العربية الإسلامية لليبيا، والآخر يقدم المشروعات الإيطالية التي سعت من ورائها إيطاليا لرقي الليبيين و ازدهارهم بحسب زعمها.

المبحث الخامس: الفهرس العام لمحتويات المجلة، وفيه مسرد مفصل لعناوين المقالات الواردة فيها منذ صدورها وحتى عددها الأخير.

قدم كرفاع لكل مبحث من مباحث المجلة بتوطئة تناقش السياقات التاريخية للموضوعات التي تناولتها، متبعا إياها بعرض أمثلة من مقالات المجلة، مع تعليقات وتحليلات مناسبة.

يشكل الكتاب نوعا من المغامرة، يخوضها المؤلف لتصحيح الذاكرة الليبية كما يصرح بذلك في مقدمته. هي مغامرة لوقوعها ضمن مرحلة تاريخية مهمشة، بل مسكوت عنها تدخل في دائرة ما يسميه بالتاريخ المظلم، حيث اضطر الليبيون للتعايش مع المستعمر في ظل الإدارة الفاشستية 1932-1941، وتباينت مواقفهم بين من اختار المقاومة السلمية حيث الهجرة، أو البقاء في الوطن مع رفض الاندماج في مشروع الطلينة، وبين من اختار التعاون مع الاستعمار خدمة لمصالحه الخاصة. يقرأ كرفاع مجلة ليبيا المصورة ضمن دائرة التعاون مع الاستعمار حيث وافق محرروها على أن يتولوا الدور الدعائي لحكومة إيطاليا الفاشية في ليبيا والعالم الإسلامي[33] . تشكل هذه النقطة محور قراءة المؤلف والزعم المركزي للكتاب. وخلف هذا الدور الرئيس الذي قدمته المجلة يأتي دور آخر على الهامش وهو تهريب الهوية الليبية – بحسب تعبير المفتي[34] – عبر صفحاتها التي أفردت مساحة للأدب والفكر، كتبت موادها بأقلام ليبية شابة؛ كانت المجلة منبرهم ومتنفسهم الوحيد، لتمثيل الثقافة الحديثة باللغة العربية[35]. لا يعتبر كرفاع الدور الوطني للمجلة مساويا لدورها في الدعاية للسياسة الإيطالية في ليبيا، فبقدر تفهمه لخيارات أصحابها المحدودة، إلا أن الخطاب الذي تبناه كان منحازا للمقاومة السلبية على التعاون والاندماج ، اللذين مثلت ليبيا المصورة أبرز صورهما، وكما سنرى لاحقا فإنه بدا –كوطني غيور – غير قادر على تقبل التنازلات التي قدمها محررو المجلة، ولغة التمجيد لإيطاليا الفاشية التي لم يتردد عن وصفها بالابتذال والإسفاف، واصفا القائمين عليها بالعوالة[36]!

يعد كرفاع قراءه بعدم التورط في إصدار الأحكام على المجلة و ممثليها، موضحا أن منهجه يرتكز على عرض محتوياتها مع شيء من التحليل والتعليق[37] . إلا أن القاريء سيلاحظ عدم وفاء المؤلف بوعوده، بدءا من المقدمة وحتى آخر صفحة من الكتاب! ومرة أخرى يخاتل القاريء، حين يؤكد على أن الكتاب كان عرضا أكثر منه معالجة لقضية أو إشكالية محددة[38] ، فالكتاب – وعلى عكس ما صرح به – كان تأليفا بامتياز، له موضوعه وأطروحته وجدله ، وإن كنا نوافقه أن الكتاب كان موجها للقاريء العام أكثر من المتخصص، وهو ما بدا جليا في غياب تقنيات البحث التاريخي المعمقة، والتي آثر عليها المؤلف أسلوب العرض

والاستقراء المباشر للنصوص والتعقيب، لكنه يبقى كأي سردية لها خطابها وأدواتها .

لتعزيز قراءتنا للكتاب، قسمنا العمل إلى جانبين: الأول نعرض فيه الكتاب كما يراه ويتصوره مؤلفه، أما الآخر فنسائل فيه الكتاب بوصفه خطابا له لغته، وأدواته من سرد واستدعاء وإقصاء.

الكتاب كما يراه مؤلفه

أولا – يضع كرفاع مؤلفه ضمن (مشروع إعادة كتابة التاريخ الليبي)، هادفا إلى تفادي مثالب التاريخ الاستعماري والاستشراق من جهة[39] ، و مثالب المدرسة الوطنية من جهة أخرى ،والتي تنزع إلى تسجيل البطولات، و طمس تاريخ التواطؤ و الخنوع للاستعمار[40] . يصف المؤلف الخوض في المجلة : بأنه (محاولة يتلمس من خلالها الطريق وسط حقول من الألغام الاجتماعية الشديدة الانفجار)[41] و (يضع أقدامنا على طريق طالما تجاهلها العديد من الباحثين في تاريخنا الوطني لتصحيح مسارنا في دراساتنا التاريخية حول الذاكرة الوطنية وتنقيتها من الكثير من المبالغات التي علقت بها ومن ثم مواجهة تاريخنا بكل وقائعه المضيئة منها والمظلمة الحسنة منها و السيئة، أملا في اجتثاث الأوهام القائمة على المبالغات في تعظيم أحداثه، و تضخيم بطولاته وشخوصه، ووضع كل شيء في مكانه الصحيح قدر المستطاع)[42] ، ثم يواصل حديثه ليجعل من تصحيح الذاكرة شرطا أساسيا لتجاوز الأزمات الراهنة، و تحقيق التسامح، والتماسك الاجتماعي[43]

ثانيا – يطرح مشكلة الحساسية من التاريخ، التي تصنف الليبيين إلى مقاومين و متواطئين وفقا الى أسلافهم، محذرا من إساءة توظيف التاريخ [44]

ثالثا– يقدم المؤلف اعتذارا خفيا للقارىء عن هذا الفصل المظلم في تاريخ وطنه، كانت فيه مجلة ليبيا المصورة، مثالا للتعاون مع الاستعمار، والركون لسياساته وإملاءاته الثقافية[45] . داعيا القارىء في الوقت ذاته، إلى الحكم على المرحلة بمعاييرها و ضغوطها، لا بسياقات معاصرة[46] .

رابعا – يطرح إمكانية التسامح بين الليبيين كخطوة مهمة لبناء دولتهم، و يضرب مثالا بشعار الملك إدريس "حتحات على ما فات"، الذي نجح في الاستفادة

من خبرات الليبيين الذين عملوا مع الإدارتين الايطالية والبريطانية، في بناء الدولة الحديثة![47]

خامسا – يعكس كرفاع في مقدمته وعيا بإشكالية كتابة التاريخ الوطني في المرحلة الاستعمارية، بالتنبيه الى ضرورة فهم ما حدث فعلا، وليس ما نريده أن يكون، والتعامل مع تاريخنا بواقعية، والاعتراف بالتواطؤ جزءا من التاريخ لا يمكن دفنه، بل لابد من مواجهته بنفض الغبار عنه و كتابته، فلابد من تمهيد الليبيين لقراءة تاريخهم بخيره وشره[48].

سادسا– يبرز الدور الإيجابي الذي أدته المجلة في نشر الثقافة باللغة العربية، وتحسين مستوى الوعي لدى الليبيين، والدعوة للحفاظ على الهوية الليبية[49]

يضع المؤلف خلاصة خبرته عن المجلة في المقدمة، التي يطرح فيها جملة من الأفكار المتسمة بالتنوع و التناقضات في آن ! تناقضات تعكس حال المجلة التي يتصدى لها، والتي ستترك صبغتها واضحة في تحليلاته. الصفحات الآتية تسائل المؤلف عن مدى التزامه بما وعد به من إنصاف المرحلة التاريخية المسكوت عنها.

مساءلة الكتاب:

لم يكن الكتاب عرضا صامتا لمقالات المجلة، وتبويبا لموضوعاتها الرئيسية والفرعية مشفوعا بتعليقات، بل تأليفا يؤدي فكرة مركزية محددة، يظهر كيف يرى كرفاع مجلة ليبيا المصورة. يتجلى ذلك في مباحث الكتاب، في أسلوب العرض والتقديم، في الاقتباسات والتعقيب، وأخيرا في الأسئلة المفتوحة والموحية في آن! تلك أدوات تعكس مسلك المؤلف في كتابة تاريخ المرحلة، فجاء الكتاب ليؤكد أن المجلة أدت رسالتها على أكمل وجه في دعم سياسات الطلينة، معتمدا على الطريقة والأساليب واللغة التي استخدمها محرروها، إذ يظهر التقدم في القراءة نزوعا نحو التقويم الأخلاقي للسياسة التي مارستها المجلة، وبالكاد كان دورها الثقافي الداعم للهوية الليبية –المعترف به عند المؤلف – يشفع لها. وإذا تماهينا مع سردية كرفاع؛ فإننا نلتقي بثلاثة مستويات أدتها المجلة، مرتبة حسب الفاعلية والأولوية على النحو الآتي:

1-المجلة تخدم الدعاية الفاشية، وتتواءم مع سياسة بالبو في إدماج الليبيين في المجتمع الاستعماري.

2- المجلة تماهت مع الخطاب الاستعماري، وبالغت في تمجيده.

3- على الهامش، خدمت المجلة الثقافة العربية في ليبيا، وكانت منبرا لأصوات شابة من أدباء البلاد ومثقفيها.

كل مبحث من مباحث الكتاب، هو قراءة للمؤلف في السياسة الثقافية والإعلامية لإيطاليا تجاه ليبيا، من خلال الحقول التي أفردت المجلة صفحاتها لها. وإذا كانت المجلة -وفقا لكرفاع - قد أدت رسالتها في تحسين صورة إيطاليا على المستويات المحلية والإسلامية والدولية، فإنه جعل من كادرها محض منفذ لهذه السياسة المرسومة سلفا، بل ذهب أبعد، في إسكات صوت المثقف الليبي، ليجعله مجرد تابع لا يتكلم إلا بنشاز إيطالي[50] ! مقللا من حجم المكاسب على صعيد الهوية، التي لا يشير إليها إلا على سبيل الاستدراك! لم يكرس كرفاع جانبا من الكتاب لسماع صوت المثقف الليبي كتابع مخضع[51]، و لكن كفاعل في ذات الوقت، له أدواته في التفاعل مع إكراهات السياسة الإيطالية، وله قدرته التفاوضية، التي تجعله مساهما في صنع تاريخه. يتجلى هذا الإسكات في غياب أي تعريف بهذه الشريحة، يتيح للقارىء الوقوف على خلفية أفرادها، وتكوينهم الثقافي، وعلاقتهم بمجتمعاتهم، وخياراتهم المتاحة في ظل إكراهات المرحلة الفاشية، بما يسمح بقراءة مواقفها المتضاربة خارج التصنيف المجحف للمقاومة والتواطؤ. ويمكن القول: إن المؤلف قد أفرط في تبسيط التاريخ الاجتماعي والثقافي لليبيين حين أغفل المرجعيات التاريخية التي حددت مواقع هذه الفئة ضمن سلطة أو معارضة، أو ضمن حالة الوسيط[52] .

إن ما يجعل قراءة هذا الكتاب مضنية، هي حالة الالتباس التي يقع القارئ فريسة لها، وهو يتقلب مع المؤلف بين حالات متضاربة من الجزم، فهو تارة يطال المجلة بالتخوين المطلق للغتها ومحرريها، وتارة أخرى يطالها بالإعذار، وفي الثالثة يثمن مواقفها الوطنية! وتطرح الصفحات التالية - المدعمة بالاقتباسات - هذه الحالات الثلاثة، كاشفة حالة الانفصال في مرآة المؤلف، التي تفشل في التقاط صورة الدورين معا الرسمي والضمني للمجلة ضمن سياق واحد للمقاومة، والقدرة

علـى التفـاوض مـع المسـتعمر، فـي حـين أنهـا تتشـظى إلـى معالجـات انفعاليـة للنصـوص، تتـراوح بـين الاسـتنكار غالبـا، والاسـتيعاب والتثمـين الخجـولين فـي حـالات أقـل. هـذا الانفصـال علـى مسـتوى الـدور يطـال اللغـة والأشـخاص أيضـا، إلا أن تجـريم اللغـة يطغـى علـى تجـريم الأشـخاص الـذين يعـذرون بـين الحـين والآخـر، لكـن لـيس دائمـا فمـرآة المؤلـف تفلـح فـي الجمـع بينهمـا فـي خانـة التواطـؤ. وتفسـح الصـفحات التالية للمؤلف أن يتكلم وفق حالاته المتعددة المتماهية مع نصوص المجلة.

فـي المبحـث المخصـص للمقـالات الافتتاحيـة، نلاحـظ العـبء الـذي تشـكله لغـة المجلـة المتماهيـة مـع الخطـاب الاسـتعماري علـى الـروح الوطنيـة للمؤلـف، حيـث اتسـمت المقـالات–وفقـا لقراءتـه– بنفـاق وتملـق لا مبـرر لهمـا (نعـم لقـد أصـبح الإيطـاليون، وبجـرة قلـم مـن مثقفـين ليبيـين إخوانـا لهـم ولبنـي وطـنهم! هـل هـي الواقعيـة أم النفعيـة فـي التفكيـر والسـلوك عنـد تلـك الفئـة ؟ أم كليهمـا ؟)[53] وفـي سـياق آخـر وبلهجـة اسـتنكارية وتقريريـة، يحكـم جازمـا بنجـاح المجلـة فـي خدمـة السياسـة الثقافيـة الاحتوائيـة للمسـتعمر عبـر منطوقهـا، مـن دون الاسـتناد إلـى مؤشـرات واقعيـة[54] (لقـد كانـت هكـذا دعايـة لهكـذا موضـوعات تمثـل الرسـالة الحقيقيـة التـي نـذرت لهـا المجلـة نفسـها، رسـالة هـدفها أن ينسـى الليبيـون مـا حـاق بهـم مـن أهـوال ونكبـات علـى أيـدي الفاشسـت، والأكثـر مـن ذلـك أن يتحولـوا إلـى عشـاق للـزعيم الـذي نكـل بهـم أيمـا تنكيل...بهكـذا دعايـة وبعبـارات فـي غايـة الإسـفاف والابتـذال تحقـق المجلـة رسـالتها وفـق الرؤيـة الإيطاليـة، وهـي كسـر حـاجز الكراهيـة والحقـد الـذي يمـلأ قلـوب معظـم الليبيين ضد الايطاليين)[55]

فـي تمـاهي كرفـاع مـع سـرديته التـي ينطلـق فيهـا مـن رسـالة المجلـة ورؤيتهـا، مـع إعطـاء هـامش صـغير للاعتـراف بـبعض التمثيـل لمصـالح المجتمـع والأهـالي، نقـرأ لـه: (فعلـى الـرغم مـن أجـواء التغريـب (الطلينـة) التـي تعيشـها البـلاد، والتـي حفلـت بهـا مجلـة ليبيـا المصـورة، وعلـى الـرغم مـن كـل مـا يقـال فيهـا وعليهـا، فـإن هنـاك وكمـا أشـرنا فـي المقدمـة ومضـات وطنيـة لا يمكـن غـض النظـر عنهـا أو إنكارهـا أو إغفالهـا مهمـا اختلفنـا أو اتفقنـا حـول المجلـة ورسـالتها، ومضـات دفعـت مـن خلالهـا الليبيـين للـدفع بأبنـائهم للاسـتفادة ممـا وفرتـه السـلطة الإيطاليـة مـن وسـائل تسـاعد الليبيـين علـى اللحاق بركب الحضارة)[56] .

يعالج كرفاع الوضع المربك للمجلة بذهنية تتراوح بين الاستيعاب والإنكار، وهاهو يشجبها ثم ما يلبث أن يضعها في خانة المراوغة المحمودة (في أكتوبر 1937م، دخلت المجلة عامها الثالث، وعلى غرار سنتيها السابقتين، فقد دشنت عددها الأول لذلك العام بافتتاحية اختارت لها من ألفاظ التملق، والتزلف، والشكر، والامتنان للحاكم العام بالبو ما يتخطى كل الحدود: كتبت تقول " بهذا تستقبل ليبيا المصورة عامها الثالث رافعة تحية الإخلاص لحضرة صاحب الدولة مرشال الجو بالبو... وفي سياق حديثها ذكرت المجلة قراءها العرب من الأدباء والشعراء من أنها ستبدل كل ما في وسعيها لتكون عند حسن ظنهم بها، واعدة الجميع خاصة المشككين من أنها لن تتوانى عن نشر الحقائق والمراحل التي تقطعها ليبيا في طريق الرقي تحت راية إيطاليا الفاشية... مؤكدة مرة أخرى على أنها ستظل أداة النشر للثقافة العربية الصحيحة بين أبناء هذا البلد الذين لايزالون يعتزون بلغة الضاد اعتزازهم بعقيدتهم الدينية)[57] . يجبر النص الداعم للثقافة العربية والإسلامية المؤلف على التراجع عن لغة التخوين للمجلة، والاستدراك بمديح وتثمين لرعايتها الثقافة العربية ، مبديا تفهما لسياسة المراوغة التي تلجأ إليها النخبة المثقفة لإحراز مكاسب وطنية[58]. لكن هذه الملاحظة الاستدراكية لا تحدث أي أثر في نسيج العمل وجدله الرئيس، إذ يعود مجددا ليضع كتاب المجلة في دائرة التواطؤ والعمالة (مفارقة عجيبة من قدموا أرواحهم رخيصة للوطن وبين من سخروا أقلامهم لتمجيد مغتصب الوطن ولمن تبنوا طريقته وفلسفته في الحياة في التعامل مع الاخر)[59] ينشغل كرفاع بالاشتباك مع اللغة التمجيدية التي أظهرتها المجلة أكثر من الفاعلية التاريخية التي قدمتها في محيطها وزمانها، و ينهمك في التعليق على كل التفاصيل التي يوردها ما يجعله يواجه ذات التساؤلات عن المكاسب والتنازلات، و الإجابة عليها في كل مرة في ضوء الدلالات المباشرة للنصوص، ما أوقعه في تناقضات نلمسها، و نحن نتنقل معه في أروقة الاستنكار والإعذار والتثمين!

وهذا مثال آخر يورده المؤلف في سياق المقارنة المجحفة بين مناضلي المهجر، وبين النخبة التي تكتب للمجلة من الداخل المحتل (أقلام ليبية في المهجر وصحافة عربية وإسلامية تهاجم ما يقوم به الفاشست في ليبيا من أعمال إجرامية

ضد لبيي الداخل، بالمقابل دفاع مستميت عن نظام استعماري فاشستي من ثلة ليبية في الداخل، سخرت أقلامها لتمجيده وتعظيم ما يقوم به من استيلاء على أراضي بني جلدتهم، ومنحها للمعمرين الإيطاليين، وتعظيم ما يقدمه ذلك المستعمر من فتات الخدمات الى أبناء جلدتهم.)[60] وأما على صعيد نقد سياسات الاستعمار، فقد أبلى كرفاع بلاء حسنا، في إظهار كذب المجلة وافتراءاتها، والتناقضات بين ما تدعيه باسم الإدارة الفاشية من تحقيق الرقي والسلام والازدهار وإشراك الليبيين في خطط التنمية.[61]

تركزت رسالة المؤلف في هذا العمل على إظهار تهافت المجلة وسياستها الدعائية، أي أن العمل بدا وكأنه حجاج ضد المجلة، ذلك الغائب الذي اختفى ممثلوه ويواجه المحاكمة كجثة هامدة! مستخدما في ذلك مقارعة الحجة بالحجة، والنص بالنص، وشهد شاهد من أهلها! و إمعانا في محاكمة المجلة، لا يتوانى في المقارنة بين شهادتين لا ينتميان للزمن نفسه، ولا للظروف ذاتها، فيقارن بين مؤرخ معاصر هو أنجيلا ديل بوكا، والمجلة فيقول :(شتان بين شهادة ليبي و شهادة إيطالي لمرحلة تاريخية نسيناها)[62] وفي نص يحفل بالتناقض، يعترف بالإكراه ويرفض إعفاء المجلة من تبعاته(ومطبوعة عربية تهلل و تطبل لنظام يدرك القائمون على المجلة أنه جلاد الشعب الليبي، وأن الليبيين خضعوا له قسرا و ليس طوعا، و أنهم هم أنفسهم لايقبلونه ولكن ليس بالإمكان أكثر مما كان)[63] .

في المبحث الثالث حول المقالات السياسية، يواصل المؤلف فضح لغة المجلة المتماهية في التملق والتزلف للاستعمار، متجاهلا الإكراهات التي فرضت على النخبة الليبية من أعيان وعلماء و مثقفين، نقرأ تعليقات بنبرة توكيدية بشأن تمثيلها للسياسة الإيطالية، و إسقاطا لهذا التوكيد على مجلة ليبيا المصورة (يجعلنا نعتقد بأن هؤلاء كانوا على قناعة تامة بالوجود الإيطالي وسلامة سياسته مع الليبيين، وقد دلت أعمالهم على صحة هذا الاستنتاج فهم الذين تقدموا الصفوف للترحيب بسيد روما، وهم الذين قدموا هديتهم المميزة "السيف" إليه، وسط احتفال رسمي وشعبي وعسكري)[64] معززا رؤيته هذه بإشارة عابرة للعلاقات التاريخية، التي ربطت هذه الفئة بإيطاليا في مرحلة ما قبل الاحتلال، ثم في مرحلتي الاحتلال والإدارة الفاشية[65] ، واضعا هذه الفئة ضمن تصنيف واحد، متجاهلا أن التواطؤ،

ظـاهرة معقـدة و مربكـة، و لا يمكـن النظـر إلـى ممثليهـا كفئـة متجانسـة، دون الأخـذ في الاعتبار خياراتهم كأفراد ضمن سياق اجتماعي واقتصادي وثقافي أيضا [66].

يـرى كرفـاع تـاريخ الـوطن كمـا ينبغـي أن يكـون فـي سـياق شـجبه للمجلـة، كمـن يريـد الـدفع بهـا خـارج هـذا التـاريخ الـوطني النقـي. فهـو يدرسـها لتـرميم الـذاكرة الوطنيـة، لكنـه فـي المقابـل يسـتنكر وجودهـا فـي سـردية تاريخيـة موضـوعية وتفسـيرية، تضـع التبعيـة الثقافيـة والتـابع فـي إطـار تحليلـي أوسـع. تنصـرف جدليـة كرفـاع لإثبـات فعـل التواطـؤ، لكنـه يعـود فـي سـردية موازيـة لإسـكات صـوت هـذه الفئـة، يتبـدى فـي الأحكـام الأخلاقيـة علـى التـاريخ المشـترك بـين الاسـتعماري والـوطني ،وإظهـار مواقـف الأهـالي المتعـاونين مـع الإدارة الاسـتعمارية باعتبارهـا الاسـتثناء فـي التـاريخ الـوطني، حيـث تحـل الإدانـة بـديلا عـن تحليـل العمليـات التاريخيـة المؤسسـة لهـا[67] . (فماذكرتـه المجلـة لايزيـد عـن رأي الـبعض، أو لمجموعـة مـن الليبيـين ارتبطـوا بمصـالح اقتصـادية وسياسـية مـن الحكـم الفاشسـتي، ورمـوزه، وهـؤلاء بكـل تاكيـد لايمثلـون الشـعب الليبـي بكـل فئاتـه ولايعبـرون عـن الموقـف الحقيقـي للشـعب الليبـي الـرافض للوجـود الإيطـالي، وإن قبـل بـه فلـم يكـن دليـل رضـا ولكـن بحكـم قـانون الغلبـة الـذي كـان فـي صـالح الايطـاليين، ومـا هجـرة الالاف مـنهم إلـى الـدول المجـاورة أو البعيـدة وممارسـة نشاطهم المعادي لإيطاليا إلا دليل على ذلك الرفض)[68] .

فـي ختـام المبحـث الرابـع، ولعلـه خاتمـة الكتـاب كلـه؛ يخلـص المؤلـف إلـى أن المجلـة لـم تكـن إلا لسـان بـالبو، و منبـرا لسياسـته فـي ليبيـا، مؤكـدا أنهـا مجلـة دعائيـة بامتيـاز، واصـفا مـن كتـب فيهـا أنهـم تقبلـوا الحكـم الإيطـالي، وتشـربوا الثقافـة الإيطاليـة. وقبلـوا أن يكونـوا أداة تطويـع لليبيـين، و تكيفـوا مـع الحكـم الإيطـالي كقـدر محتـوم لاسـبيل للفكـاك منـه[69]! هـذه النهايـة التـي خـتم بهـا الكاتـب حكمـه علـى محـرري المجلـة، تكشـف رؤيـة مختزلـة، تجاهلـت تعقيـدات الحالـة الثقافيـة والنفسـية والسياسـية، التـي أشـار اليهـا بـين الحـين والاخـر، لكنهـا لـم تـؤثر فعليـا لا فـي نسـيج العمـل و لا فـي خاتمتـه، بـل ظهـرت كعبـارات و أحكـام وصـفية. فهـو لا يعبـأ بإظهـار العلاقـة بـين الـدورين أو الـوظيفتين المعلنـة وغيـر المعلنـة للمجلـة، بـل يكتفـي بالإشـادة متـى وجـد مسـوغا لـذلك. لـم يكـن الجانـب غيـر المعلـن فـي رسـالة المجلـة غائبـا علـى كرفـاع، لكنـه

لـم يكـن ذا وزن! فهـو يحاسـب المجلـة بمنطوقهـا لا بنواياهـا، بلغتهـا لا بفاعليتهـا المجتمعية .

تبـدو لنـا محاكمـة المجلـة اليـوم علـى النحـو الـذي يفعـل كرفـاع، محاكمـة لجثـة هامـدة، تنطـق بمـا يـراه ويقولـه مشرحوها، فيمـا تقـف وحـدها عـاجزة علـى إحاطتنـا بطبيعـة الـدور الـذي قامـت بـه فـي محيطهـا، فلكـي تكـون الصـورة مكتملـة، لابـد مـن التعـرف علـى خلفيـات محرريهـا، والمسـاهمين فيهـا، وفهـم الطريقـة التـي اسـتقبلت بهـا، والفئـات التـي قرأتهـا، والدعايـة التـي يعتقـد ويـرجح أن المسـئولين عـن المجلـة أنفسـهم قـد قـاموا بهـا ضـد محتواهـا الفاشـي، وربمـا قـاموا بمـا يشـبه ترشـيد القـراء للتعامـل مـع المجلـة[70]؛ مـا يجعـل المجتمـع المسـتهدف منهـا فـي المحصـلة، لا يـرى سـوى رسـالتها الضـمنية. نستحضـر هنـا حالـة قابلـة للإسـقاط علـى هـذا المسـلك مـن المقاومـة، وهـي هجـاء أحمـد رفيـق المهـدوي لصـحيفة بريـد برقـة – الصـادرة عـن المحيشـي نفسـه – في أبيات شعرية، تحرض على محتواها و تدعو إلى نبذها[71]

نعتقـد أن محاكمـة ليبيـا المصـورة خـارج معـايير الرقابـة الفاشـية الصـارمة للصـحافة والصـحافة الموجهـة ، يظـل ناقصـا، ولابـد مـن الأخـذ فـي الاعتبـار المتلقـين ،وطريقـة التلقـي ، والدعايـة المضـادة، وحـدود الحريـة التـي يتمتـع بهـا محـررو المجلـة لقبـول أو رفـض التـدخل الفاشـي فـي عملهـم. و لا ننسـى أن السـلطة الاسـتعمارية كانـت لهـا أدواتهـا الرقابيـة للـذهاب بعيـدا فـي فهـم طبيعـة وأداء اللغـة، ومـن ثـم ضـبطها وتوجيههـا[72]، يشـير الأسـتاذ علـي مصـطفى المصـراتي نقـلا عـن معاصـرين للمجلـة، عـن المعانـاة النفسـية التـي كـان يجـدها كتابهـا إزاء مـا يسـطرونه فيهـا مـن ديباجـات استعمارية، ما يفيد بوقوعهم تحت حالة القهر و الاضطرار[73]!

مضـى كرفـاع فـي أحكامـه علـى المجلـة دون الأخـذ فـي الاعتبـار الاسـتجابة المعقـدة التـي تحـددها تعقيـدات الـوعي الشـعبي والنخبـوي فـي الـداخل. أمـا فـي العـالم الإسـلامي، فقـد كانـت الدعايـة الإيطاليـة تقابـل بدعايـة مضـادة مـن مناضـلي ليبيـا فـي المهجـر، وأخبـار ليبيـا كانـت تصـل بوسـائل متعـددة لـم تكـن الصـحافة سـوى إحـداها، كمـا أن عالمـا إسـلاميا مسـتعمرا مـا كـان ليصـغي لصـوت النشـاز فـي الدعايـة الإيطالية[74]، التي كانت مجلة ليبيا المصورة إحدى قنواتها!

بعيدا عن المساءلة المفرطة التي قابل بها المؤلف موضوعات المجلة، و هو موقف أولي لم يستطع الفكاك منه إلى موقف آخر، فإن الكتاب مساهمة محمودة في قراءة السياسة الإعلامية الثقافية لإيطاليا في ليبيا من خلال ليبيا المصورة، كذلك فإن العمل هو الأول من نوعه الذي يعرض بشكل شمولي المجلة بكل محتوياتها أمام القارئ، بل يضع تلك الموضوعات في سياقاتها التاريخية التي ظهرت فيها. ومع ذلك نعتقد أن المؤلف قد حجب على القارئ أن يرى الصورة من زوايا أخرى، ليس بالضرورة انحيازا لوجهة نظره في المجلة، بل كنتيجة منطقية للمنهج المتوخى في العمل،الذي اعتمد الاستقراء المباشر للنصوص.

بخلاف محمد المفتي، وعلي مصطفى المصراتي، لا يبدو كرفاع معنيا بالبعد الثقافي، الذي مثلته المجلة كنافذة من نوافذ تسريب اللغة العربية، والهوية الليبية من خلف الأسوار الفاشية المنيعة، بلغة حداثية لم يكن من سبيل لتبنيها في الدوائر الثقافية الأهلية والدينية، والتي جاءت بدورها نتاجا للقدرة التفاوضية للقائمين عليها مع المستعمر، الذي كان وحده يملك أن يعطي أو يمنع . أهمل كرفاع قراءة المجلة كفعل مقاوم للتهميش، فالانضواء تحت سياسات إيطاليا التعليمية والتثقيفية والإعلامية، هو في بعض حالاته شكل من أشكال مقاومة التهميش، أي الاصرار على البقاء داخل التاريخ لا خارجه، وحيث إن التاريخ كانت ترسمه إيطاليا، فلم يكن ثمة بد من الالتحاق بها، والتحايل عليها، لانتزاع زاوية للوطن على هامش الحداثة.

يعي المؤلف الخيارات المتعددة ويعي الإكراهات، الا أنه يمتنع عن تحويل الدراسة الى قراءة تتجاوز الحكم الاخلاقي الى القراءة التاريخية في سياقاتها المعقدة اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا. لقد اختار كرفاع أسلوبه في الإنجاز، ويمكن أن يتولاها الآن باحثون آخرون، في ضوء قراءات معمقة لتناقصات التاريخ الاستعماري بعيدا عن الاختزالات والتعميمات التي تقدمها التواريخ الاستعمارية والتواريخ الوطنية. خلاصة القول فإن كرفاع يكرر مشكلة التواريخ الوطنية التي ينتقدها، لأنه قرر أن يجابه الصمت حول الحقيقة بنشر الوثيقة ومحاكمتها، بمعزل عن استنطاق مجتمعها إبراز دلائل حيويته!

خاتمـــــــــــــــــة

أظهرت هذه الدراسة أن المؤرخ الليبي المختار كرفاع قد نجح في إبراز الأرشيف الروسي السوفييتي، ومجلة ليبيا المصورة، كمصدرين تاريخيين، يتحلى كل منهما بوحدة موضوعية، فالأرشيف الروسي له دلالاته ومؤشراته وحدود أدائه، أجاد المؤلف توظيفها في إثراء محطات مهمة من التاريخ الليبي الحديث والمعاصر. كما نجح من خلال مجلة ليبيا المصورة في كتابة جوانب من التاريخ الثقافي والعمراني والاقتصادي والاجتماعي لليبيا، في ظل الإدارة الفاشستية، خلال الفترة التي غطتها المجلة مابين عامي 1935-1940م.

أتاحت لنا الوحدة الموضوعية التي اكتشفها مؤرخنا في هذين المصدرين، أن نتعامل مع جهده التأليفي- في كل عمل على حدة - كمنتج أدبي، قابل للمساءلة والتحليل، و كسردية لها خطابها وأدواتها، كانت نتاجا لتفاعل المؤرخ مع مصادره من جهة، و لحدسه التأريخي الذي رفع أداء المصادر من مستوى الوثائق إلى مستوى الوعي و الفاعلية التاريخية.

أظهرت الدراسة أن "كتاب الأرشيف الروسي" قد عكس انشغال كرفاع بليبيا في عيون وذاكرة الآخر/الروسي والسوفييتي، توخى فيه قدرا من المسافة الذاتية مع الموضوع، تجلت في المعالجة الصارمة لمصادر التاريخ الروسي عن ليبيا. ومن زاوية مقارنة، يعكس كتاب "مجلة ليبيا المصورة"، صورة ليبيا في عيون وذاكرة أبنائها كما يلتقطها المختار كرفاع، الذي شارك عبر هذا الكتاب في جدل التواطؤ والمقاومة في الكتابة التاريخية الليبية، من منظور يتماهى مع مباديء المقاومة والرفض والوطنية، وفق منهجية آثر فيها الاشتباك مع نصوص المجلة وكتابها في معزل عن تعقيدات المرحلة الاستعمارية.

الهوامـــــــــــــش

[1] تربطني بالدكتور المختار كرفاع صلة التلميذ بالأستاذ في مرحلة الدراسات العليا لدبوم سنة 2000، كما تربطني به صفة الزمالة منذ 2007 حيث التحقت بالعمل كعضو هياة تدريس بالقسم ذاته ، ويمكن القول : إن هذه الشهادة تحمل صفة المعاصرة .

[2] العمل رسالة قدمها المختار كرفاع لنيل درجة الماجستير في جامعة قاريونس (جامعة بنغازي حاليا) تحت إشراف الدكتور عقيل البربار ، سنة 1990 ، وصدرت كتابا بعنوان :الحركة العمالية في ليبيا 1943-1969،منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، 2000م ،

[3] المختار الطاهر كرفاع :الأرشيف الروسي السوفييتي وتاريخ ليبيا الحديث (دراسة في المصادر الأرشيفية الروسية والسوفيتية)،وزارة الثقافة والتنمية المعرفية، 2020.

[4] ينظر تقديم البربار لكتاب الأرشيف الروسي ،مرجع سابق، ص 9

[5] نفسه .ص 15

[6] للحصول على تفصيل بشأن المعالجة الغربية للتاريخ الليبي في المصادر والادبيات الغربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ينظر عقيل محمد البربار : المؤرخ مصطفى عبدالله بعيو دراسة في المنهج ، ضمن كتاب اليوم العلمي للمؤرخ مصطفى عبدالله بعيو 1921-1988م رئيس الجامعة الليبية ورجل الدولة ورائد المؤرخين أكاديميين الليبيين ، أبحاث وأعمال اليوم العلمي المنعقد بكلية التربية ، جامعة مصراتة بتاريخ 8-3-2018،تحرير أحمد محمد الشلابي وآخران ، منشورات جامعة مصراتة ، 2021م ، ص 35-45

[7] كرفاع ، الأرشيف الروسي السوفييتي ،مرجع سابق، ص 11-12

[8] نفسه ، ص9

[9] نفسه ، ص14

[10] يتجلى ذلك في الدور الذي اضطلع به مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ،كما يتجلى في الجهود الذاتية لبعض الباحثين ، وللاطلاع على العبء الذي يشكله البحث في تاريخ ليبيا الحديث في الأراشسف الأجنبية ،على كاهل المؤرخين الأفراد في غياب دور المؤسسات الحكومية ، ينظر عقيل البربار ، المؤرخ مصطفى عبدالله بعيو ، مرجع سابق، ص 27-28

[11] كرفاع ، الأرشيف الروسي السوفييتي،مرجع سابق ،ص 16 و 50، و110، و126

[12] نفسه ، ص29 و30 و 126و127

[13] نفسه ، ص 21

[14] نفسه ، ص 174-175

[15] نفسه ص 39 - 40

[16] نفسه 44

[17] نفسه 59

[18] نفسه ص 41

[19] نفسه ، ص 18و 175و188

[20] للاطلاع على كتابي بروشين في نسختهما العربية: ن .إ.بروشين تاريخ ليبيا في العصر الحديث منتصف القرن السادس عشر-مطلع القرن العشرين ، ترجمة وتقديم :عماد حاتم ،مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، 1991، وأيضا ن.إ. بروشين : تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1969،ترجمة وتقديم الدكتورعماد الدين حاتم ، مراجعة ميلاد المقرحي ،منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، 1988م .

[21] صدرت له ترجمة عربية : ز.ب . ياخيموفتش : الحرب التركية -الإيطالية 1911-1912،ترجمة هاشم صالح التكريتي ،منشورات الجامعة الليبية ، بيروت ، 1970.

[22] لوقت طويل ظل كتابا بروشين عن التاريخ الليبي في نسختهما العربية، يقدمان لطلبة الدراسات الجامعية ، باعتبارهما يشكلان معا مؤلفا جامعا لأحداث التاريخ الليبي الجديث والمعاصر، مصحوبا بتوجيهات شفوية للطلاب بضرورة قراءته معزولا تماما عن الرؤية الماركسية للتاريخ ، وهو نوع من التعاطي الغريب في تبليغ المعرفة التاريخية ، على مستوى الكتاب والطالب الذي ابتلع طعما فكريا منهجيا تأسيسيا مفاده إمكانية عزل المعلومات عن سياقاتها الفكرية و خلفيات أصحابها الأيديولوجية .

[23] كرفاع ، الأرشيف الروسي السوفييتي ،مرجع سابق،ص173-188

[24] نفسه، ص 120

[25] نفسه، ص 186-187

[26] نفسه ، ص 121

[27] نفسه ، ص 175 . و للاطلاع على تأثير الفكر الماركسي (المادية التاريخية)في البحث التاريخي يمكن الرجوع إلى جاك لوغوف : التاريخ الجديد، ترجمة محمد الطاهر المنصوري ،مراجعة عبدالحميد هنية ،المنظمة العربية للترجمة والنشر ، لبنان ، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الأولى، 2007، ص 407-

431 ، و أيضا : وجيه كوثراني : تاريخ التأريخ ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، بيروت ، 2012 ، ط 1،ص 194-197

[28] كرفاع ، الأرشيف الروسي السوفييتي ،مرجع سابق، ص 186-187 ، و **لقراءة نقدية للكتابين من زاوية أخرى، تلقي الضوء على تأثر بروشين بالنظرة الاستشراقية الفرنسية للتاريخ الليبي : محمود أحمد أبوصوة، جدلية المجال والهوية مدخل إلى تاريخ ليبيا العام، دار الرواد ، طرابلس -ليبيا ، 2012، ط 1، ص 73-74**

[29] المختار الطاهر كرفاع : مجلة ليبيا المصورة مجلة عربية شهرية أكتوبر 1935-نوفمبر 1940،المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية ، طرابلس-ليبيا ، 2022

[30] إيتالو بالبو ، حاكم ليبيا مابين 1934-1940، تبنى سياسة احتواء وإدماج الليبيين في إيطاليا الفاشستية ، تبنى سياسات دعائية عبر قنوات عديدة منها المدرسة الإسلامية العليا، ومجلة ليبيا المصورة، ودعم حقوق الجنسية الإيطالية لليبيين، إدماج الليبيين في التعليم الإيطالي. ينظر صلاح الدين حسن السوري: ليبيا والغزو الثقافي الإيطالي، ضمن كتاب بحوث ودراسات في تاريخ ليبيا، 1911-1943،مجموعة باحثين ، تحرير صلاح الدين حسن السوري ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1998، ص449-495. وأيضا وهبي البوري :بنغازي في فترة الاستعمار الإيطالي،إصدارات مجلس الثقافة العام ،سرت ، الطبعة الثانية،2008م، ص 223-299 .

[31] كرفاع ، مجلة ليبيا المصورة ،مرجع سابق، ص43-44

[32] عمر فخري الحيشي تلقى تعليميا فرنسيا في الأسكندرية ، وواصل تعليمه في إيطاليا ، وبعد عودته لليبيا مارس نشاطا وطنيا ؛ استبعد على أثره لإيطاليا ، ثم عاد إلى ليبيا وأصدر مجلة ليبيا المصورة خضوعا لرغبة الإدارة الإيطالية. شهد له غراتسياني بإنقاذ ليبيين من حبل المشنقة ،كما تحايل من خلال صفحات ليبيا المصورة لنشر منشورات لمناضلين ليبيين بحجة الرد عليها، إضافة إلى فتح منابر المجلة لمواهب البلاد الشابة من شعراء و كتاب. للاطلاع على تفاصيل أكثر : الطاهر أحمد الزاوي : أعلام ليبيا، دار الفرجاني، ليبيا، الطبعة الثانية،1971، ص 294-297 . و أيضا علي مصطفى المصراتي ، صحافة ليبيا في نصف قرن ، الدار الليبية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 2000 ، ص 246-253.

[33] نفسه ، ص 22

[34] محمد محمد المفتي :النغم الليبي من جوف النشاز الإيطالي الهوية المهربة على صفحات ليبيا المصورة ، مجلة الفصول الأربعة ، العدد 92 ، السنة 22 ، 2000، ص 26 -29

[35] وهبي البوري : سيرتي الذاتية ، مجلة الفصول الأربعة ، العدد 81 ،السنة 18، 1996، ص 92-95

[36] كرفاع ، مجلة ليبيا المصورة،مرجع سابق ، ص 35

[37] نفسه ، ص 23

[38] نفسه ، 24

[39] نفسه ، ص17 و 18

[40] نفسه ، ص 27

[41] نفسه، ص 25

[42] نفسه ، ص26

[43] نفسه ،ص 26

[44] نفسه ،ص 27

[45] نفسه،ص 26

[46] نفسه ص 25-27

[47] نفسه ، ص 28-27

[48] نفسه ،ص 26

[49] نفسه ،ص28

[50] نفسه ، ص 75

[51] التابع مفهوم ابتدعه غرامشي وطورته مدرسة التابع الهندية في الإشارة إلى سمة الخضوع والهامشية في مجتمعات جنوب آسيا سواء تم التعبير عن ذلك بالطبقة الاجتماعية أو الطبقة الدينية أو العمر أو الجندر أو الوظيفة أو بأي شكل آخر،نقلا عن إدريس مغراوي : الجنود المغربيون في الجيش الاستعماري بين الذاكرة الانتقائية والذاكرة الاجتماعية، ضمن كتاب مابعد الاستعماروالقومية في المغرب العربي ، إعداد وتحرير علي عبداللطيف احميدة ، ترجمة جمعة عمر بوكليب،راجع الترجمة ،أمبن الايوبي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2014، ص 75 . ودراسات التابع كتيار مابعد استعماري تستهدف دراسة التاريخ من أسفل بإعطاء صوت للفئات المهمشة. وفي هذا السياق لا تعتبر الفئات المتعاونة مع الاستعمار مهمشة أو تابعة، لكننا نستعير هذا المفهوم لنعبر عن حالة الإكراه التي خضعت لها هذه الفئات في المرحلة الاستعمارية، ولحالة الإسكات والإدانة التي مورست عليها في الذاكرة الوطنية الرسمية والشعبية.

[52] كرفاع مجلة ليبيا المصورة ، ص 95 – 96

[53] نفسه ، ص 51

[54] للاطلاع على معالجة أخرى لسياسة إيطاليا الثقافية بقنواتها المتعددة بما فيها مجلة ليبيا المصورة ، ينظر:صلاح الدين حسن السوري : ليبيا والغزو الثقافي الإيطالي ، ضمن كتاب بحوث ودراسات في تاريخ ليبيا،مرجع سابق، ص 449-495 .

[55] كرفاع ، مجلة ليبيا المصورة ،مرجع سابق،ص 56

[56] نفسه ، 170-171

[57] نفسه ، ص 60

[58] نفسه ، ص 60

[59] نفسه ، 67

[60] نفسه ، ص 75

[61] نفسه ، ص 66- 67

[62] نفسه ، ص 90

[63] نفسه ، ص 92

[64]نفسه ، ص 122،123

[65] نفسه ، ص 123

[66] للوقوف على سياسات التواطؤ والمقاومة، يمكن الرجوع إلى بعض الدراسات المفيدة في هذا الباب :علي عبداللطيف احميدة : المجتمع والدولة والاستعمارفي ليبيا دراسة في الأصول الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لحركات وسياسات التواطؤ ومقاومة الاستعمار 1830-1932م ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الثانية، 1998م، و محمد الطاهر الجراري :الخصوصيات الليبية أو ثقافة الذنب والعار، ضمن كتاب المجتمع الليبي 1835-1950،تحرير محمد الطاهر الجراري ،مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ،طرابلس ،2005 ، ص 337 -393. أيضا : ادريس مغراوي :الجنود المغربيون في الجيش الاستعماري بين الذاكرة الانتقائية والذاكرة الاجتماعية ،مرجع سابق، ص 75 -101

[67] للاطلاع على بعض مشاكل التواريخ الوطنية في معالجة المرحلة الاستعمارية ينظر : إدموند بيرك الثالث ، التفسيرالنظري لتاريخي الاستعمار و القومية في المغرب العربي، ضمن كتاب مابعد الاستعمار والقومية، مرجع سابق، ص 37-57

[68] كرفاع ، مجلة ليبيا المصورة، مرجع سابق ، ص 135

[69] نفسه ، ص 189

[70] يشير الطاهر الزاوي إلى هذا المعنى في ترجمته للمحيشي ، ينظر الزاوي ،أعلام ليبيا ،مرجع سابق، ص 296

[71] علي مصطفى المصراتي ، صحافة ليبيا في نصف قرن ،مرجع سابق، ص 245

[72] الزاوي ،أعلام ليبيا ،مرجع سابق، ص 295-296، وعلي مصطفى المصراتي ، صحافة ليبيا في نصف قرن ،مرجع سابق، ص 249

[73] علي مصطفى المصراتي ، صحافة ليبيا في نصف قرن ، ص 249

[74] وهبي البوري ، بنغازي في فترة الاستعمار الإيطالي ،مرجع سابق، ص 245